روايات
عالمية
للفتيان

صانعو الدمى الثلاثة

تاليف : اورسولا لاموراي وليامز



ترجمة : امل منصور

اورسولا موراي وليامز

«صانعو الدمى الثلاثة»

ترجمة

أمل منصور



صانعو الدمى الثلاثة
تأليف: اورسولا موراي وليامز. ترجمة أمل منصور
الطبعة العربية الاولى ١٩٨٩

الناشر: وزارة الثقافة والاعلام ـ دار ثقافة الاطفال
ص . ب ٨٠٤١

عالمية

تصدر عن قسم النشر في دار ثقافة الاطفال
المدير العام: فاروق سلوم
سكرتير تحرير السلسلة: فاروق يوسف

«بيتر» صانع الدمى والصغير «رودي»

لاحظ صانع الدمى العجوز «بيتر» ، بعد ظهر احد ايام الشتاء ، زوجاً من العيون الحادة تحدق به من فوق دكة عمله .

كان صانع الدمى العجوز ، قد اعتاد نظرات اطفال القرية عند توقفهم في الشارع لالقاء نظرة على دكانه ، ومراقبته اثناء اداء عمله . ولكنه استمر في عمله لفترة طويلة دون ان يعير اهتماماً لتلك المراقبة ، وربما كان ينتظر الثرثرة وسيل الاسئلة التي تطرح ، عليه .

ولكن الاسئلة لم تطرح ، وعندما رفع عينيه ادرك انه لم يشاهد من قبل هذا الطفل الواقف امامه . فهذا اذن غريب ، لان «بيتر» العجوز يصنع الالعاب لكل طفل في القرية !

وهكذا طرق خمس طرقات جديدة ، وحفر خمس قطع اخرى ، قبل ان يتكلم ليقول :

[مساء الخير ايها الرجل الصغير !]

[مساء الخير يا «بيتر» صانع الدمى] رد الطفل بأدب .

لم يكن «بيتر» يرى اكثر من عيني الطفل المحدقتين به وانفه ، ولكنه عندما امعن النظر خلف الدكة ، لاحظ معطفاً مرقعاً ، وبنطالاً مرتقاً ، وزوج احذية كبيرة الحجم ، وعلى الرغم من الرقع والرتوق كانت هناك ثقوب كثيرة في ملابس الطفل الخفيفة .

فكر «بيتر» العجوز بان الجو شديد البرودة ليخرج الانسان بنوافذ مفتوحة في ثيابه في مثل هذا الجو .

وكان الظلام قد بدأ يحل ، وهنا تناول ابريق القهوة من فوق الطباخ ودعا الطفل ليدفىء نفسه :

[ما اسمك يارجلي الصغير ؟] سأل وهو يقطع قطعتين كبيرتين من الخبز .

[اسمي رودي !] قال الولد وهو يتقبل قطعة الخبز وفنجان القهوة بأدب . ثم شرب القهوة الساخنة وهو يحمل الفنجان بين يديه ولكن قطعة الخبز بقيت فوق الدكة .

[ألستَ جائعاً ؟] سأل صانع الدمى العجوز .

بينما تجولت عينا الطفل في الدكان :

[هل تعطيني قطعة من الخبز اذا كنست الدكان ؟]

[بالطبع سأعطيك اذا كنسته جيداً !] في حين كان صانع

الدمى العجوز مندهشاً .

أمسك الولد بالمكنسة ودار حول الارض ، ثم جمع قطع الخشب ، النشارة ، وقطع النجارة كلها وكومها في كومة مرتبة . وعندها قطع «بيتر» العجوز قطعة ثانية من الخبز ، فتقبلها الطفل بأدب ووضعها فوق الاولى . فقال صانع الدمى مذهولاً [ماذا ؟ الن تأكل هذه ايضاً ؟]

فرد الطفل ولكن [هل تعطيني قطعة ثالثة اذا فرزت لك المسامير ؟]

كانت المسامير قد فرزت ، ووضعت قطعة الخبز الثالثة فوق القطعتين السابقتين ، ولكن الطفل كان ينظر حول الغرفة بحماس ، وسأل :

[أليس هناك عمل يمكن ان اقوم به ؟]

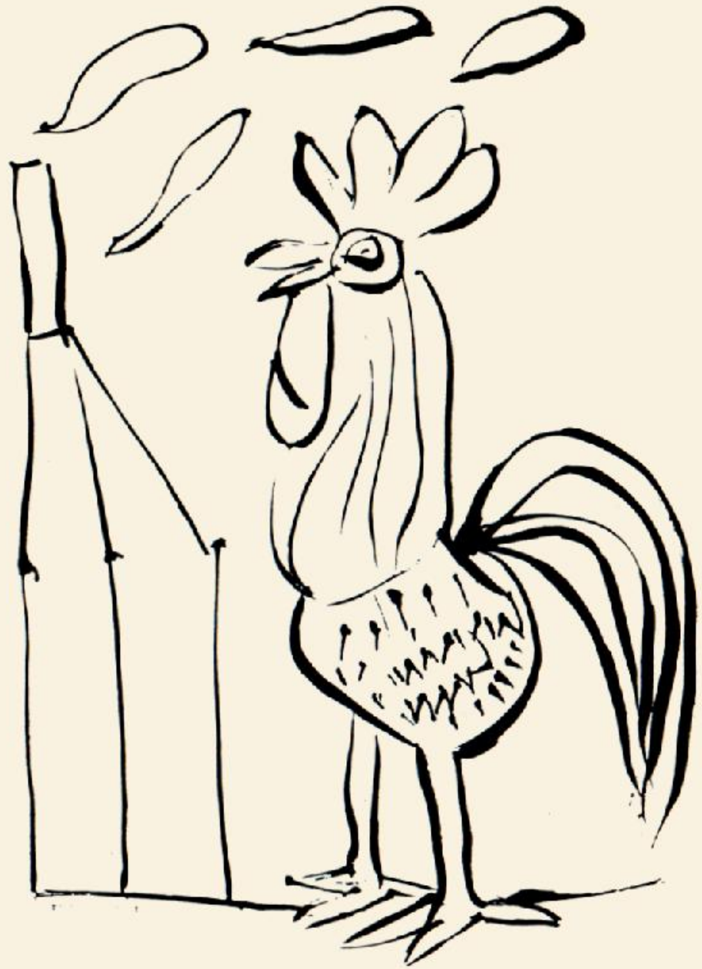
[اذن انت تبحث عن عمل ، اليس كذلك ؟ هل ترغب في العمل في دكاني ؟]

وهنا لمعت عينا الطفل وهتف :

[نعم ، بالتأكيد أرغب]

[حسناً إذن ، تستطيع ان تنام في غرفة السطح ، وتأكل معي ، ولك كل خميس قطعة نقود فضية ، كما ان

مهنة صانع الدمى ممتازة اذا ماتعلمها طفل مثلك]
لكن الطفل خفَض رأسه وقال بحزن:
[لااستطيع النوم في غرفة السطح !]
[هل تخاف البرد ؟] سأل بيتر العجوز ، ثم نظر الى ملابس الطفل الخفيفة واضاف بلطف :
[حسناً ، بامكانك ان تنام خلف المدفأة اذا اردت ، فهذا لن يغير شيئاً بالنسبة لي !]
كان الطفل على وشك البكاء وقال وعيناه في الارض :
[لااستطيع النوم خلف المدفأة]
[اذهب اذن ، فلن اعمل مع امراء صغار في دكاني]
قال «بيتر» العجوز ذلك وقد بدأ يفقد صبره ، وادار ظهره للطفل . لكن ولدهشته بقي «رودي» مكانه وهمس بصوت خفيض :
[سأحضر في الصباح الباكر ، لن تشعر انني نمت بعيد عنك]
[اوه !] قال صانع الدمى وهو ينظر اليه ثانية :
[انت تريد النوم في بيتك اذن ، من هو والدك ؟]
[والدي ميت .]
[حسن اذن ، والدتك]



[امي ايضاً ميتة .]

[انت لاتعيش وحدك بالتأكيد ؟]

[لا ، لي اخ صغير ....]

[اذن ، فانتما تعيشان معاً]

[حسن ، لدي اخوان صغيران]

[أخوان ؟]

[سيدي ، لدي ثلاثة اخوة صغار ..]

[كلهم صغار ، اليس هناك المزيد ؟]

[في الحقيقة ، هناك رابع ..]

[ياطفلي المسكين ، اخبرني الحقيقة ، هل هذه بقية العائلة] ؟

[حسن ، الحقيقة ان لي خمسة اخوة كلهم اصغر مني]

[و ....]

[وماذا بعد ، اليس هؤلاء كل عائلتك ؟]

[لاياسيدي ، الى جانب اخوتي الخمسة الصغار ، فلي اخت واحدة تقاربني في العمر ، وهي مشلولة !]

تأثر صانع الدمى العجوز الطيب حتى الاعماق لهذه العائلة الكبيرة التي تعتمد على مايكسبه طفل واحد ،

وقد اكتشف انهم يعيشون في كوخ على حافة الجبل على بعد سبعة اميال .

[ولماذا جئت عندي ؟] سأل بيتر العجوز .

[لقد اصطاد والدي دباً قبل ستة اعوام ، وباع جلده بعدة قطع فضية ، وفي الطريق الى البيت مر بدكانك واشترى لاختي دمية من عندك ، لقد كان والدي حارس غابة ، وعندما مات اخذت امي معاشاً تقاعدياً ، ولكنها ماتت هي الاخرى ، والتقاعد لايكفي حتى لاطعامنا ، ولقد تحدثت ليلة امس مع اختي ، وقررنا ان اجيء اليك وأسالك ان تدربني لاصبح صانع دمى ، وسأفعل كل ماأستطيع لمساعدتك ، وفي الوقت نفسه سأتعلم كل مايمكن ان تعلمني اياه عن الصنعة]

سر بيتر العجوز كثيراً لشجاعة الصبي «رودي» وامانته ، ووعده ان يجربه ، واثناء ذلك ملأ له سلة طعام وأوصله في رحلته الطويلة خلال الغابة الى بيته الجبلي .

وعندما وصل الى دكانه في الصباح وجد الصبي «رودي» يكنس الارض وقد عمل ذلك اليوم ، وكل يوم بعده من الفجر حتى المغيب كما يعمل عشرة رجال ، حتى ان صانع الدمى بدأ يستغرب كيف كان من دونه .

وكان في كل يوم يرسل «رودي» الى بيته ومعه سلة مليئة بالطعام لعائلته .:

[الاتخاف من الغابة في الليل ؟] كان يسأله بين الحين والاخر .

[لا ، لاأخاف !]

[ولا من الجن والعفاريت]

[ولماذا أخافها ؟]

[وماذا عن الدببة والذئاب التي تجوب الغابة ؟]

[اختي تدعولي كل الوقت اثناء غيابي ، لهذا فلن يمسني اذى] قال رودي ببساطة .

[انت ولد طيب ، ولكن اسمع مني نصيحة ! ان عليك ان تصادق الجان والعفاريت ، لانها ستساعدك عندما تحتاج اليها ، وعليك ان تدرس عادات ودروب الدببة والذئاب حتى تعرف كيف تتعامل معها . واذا فعلت ذلك فإن دعاء اختك سيستجاب دائماً ، ولن يمسك اذى]

«٢»

صانعو الدمى

وحين مرت سنوات ست ، وبلغ الصبي رودي الثامنة عشرة من عمره ، اصبح عريض الكتفين ، طويل الرجلين ، متورد الخدود ، وصار من المستحيل التصديق بانه كان صبياً صغيراً يتلصص من فوق دكة «بيتر» العجوز صانع الدمى . فلقد اصبح اجرأ صياد في القرية والاشجع في الجبال .

واي صانع دمى اصبح «رودي» ! ! لقد علمه «بيتر» العجوز كل ما كان يعرفه عن الصنعة واحبه كولد له .

وكانت دببة «رودي» الخشبية تفتح فمها وكأنها حقيقية ، فتبدو وكأنها تزمجر ، وكانت طيور السنونو المحفورة وكأنها تكاد تطير . ولقد احبت كل طفلة في القرية ان تقتني دمية من صنع «رودي» ، التي كانت تكاد تنطق بالحياة ، بينما كانت كلابه من امتع ماشاهد الاطفال .

اخذ «رودي» بنصيحة صانع الدمى ، فصادق الجان والعفاريت في الغابة ، وكانت تلك تدله على افضل الاشجار ليحفر منها العابه ، وبالمقابل كان يصنع لها سلالاً صغيرة ، وأسرة ودككاً يتركها لصغارها ليفرحها .

وبالتدريج اخذ يقوم بالاعمال الصعبة بدلاً عن «بيتر» العجوز ، الذي اصبح يجلس في اوقات الفراغ يتحدث الى جيرانه والى الاطفال خصوصاً أخوة ابنه بالتبني الخمسة الصغار ، الذين كانوا يكبرون ويتحولون الى اولاد اقوياء اصحاء نافعين ومشغولين مثل اخيهم .

وكان «رودي» قد احضر عائلته قبل عدة سنوات لتعيش في القرية حتى يستطيع العمل ساعات اطول ، وليكون قريباً للعناية بالعجوز «بيتر» الذي بدأ يشكو من ضعف في بصره ووخزات روماتيزم في ظهره وقدميه ، وقدميه . ولقد صار البيت الجديد اكثر ملاءمة لاخت «رودي» المشلولة «السا» التي اصبحت وبسرعة مقربة من كل فرد في القرية ، فقد كانت مرحة جداً ، متفائنية ، قانعة لاتشكو ، ومستعدة دائماً لمساعدة الناس ، كما كانت تبتسم وتلوح لجيرانها بينما هي تجلس في نافذة الكوخ تصلح ملابس اخوتها وتخيط قمصانهم .

كبر الاولاد وتركوا البيت حيث ذهب الكبيران الى الجندية ، وذهب الثالث ليتدرب عند حداد ، اما الرابع فلا زال في المدرسة وقد كان ذكياً جداً يرغب في ان يصبح محامياً .

اما الصغير «اندرز» فمن الصعب ان يقول انه في المدرسة ، لانه دائم التغيب ، ولقد كان مصدر قلق وسعادة «رودي» و « السا» ، وقرة عين بيتر العجوز .

فقد كان هذا الصغير يعبد صانع الدمى وربما درجة واحدة اقل من حبه لاخيه «رودي» ، وكان ينتظر اليوم الذي يترك فيه المدرسة رسمياً ليتعلم هذه المهنة ولم يكن يخامره الشك بانه سيصبح اشهر صانع دمى في العالم .

فقد كان يتبع خطى «بيتر» العجوز و «رودي» من الصباح الى المساء حتى ارسل الى المدرسة ، حيث اخذ ينسل الى الغابة ليلعب مع اصدقائه من الجان والعفاريت التي كانت تحبه لشخصه ومن اجل «رودي» .

وقد اصبحت الالعاب التي تأتي من قرية «دروسل» من اشهر الالعاب وخصوصاً عندما انضم صانع الدمى «رودي» الى صانع الدمى «بيتر» العجوز ، ورغم ذلك لم يكونا صانعي الدمى الوحيدين في منطقة تملؤها الاشجار ذات النوعية الممتازة لتلك الصناعة .

وكان يعيش في القرية المجاورة «بيلس» صانع دمى آخر اسمه «مالكين» وهو شخصية مختلفة تماماً ، فهو لايمتلك دكاناً مثل «بيتر» العجوز و «رودي» بل نافذة



عرض مثل نوافذ محلات الالعاب في المدينة ، وكان يصنع الحيل والمفاجآت والالعاب المضحكة فهو مثلاً يبيع البيض الذي ينفجر عند امساكه مصدراً رائحة كريهة ، او الشموع التي تنطفيء في الظلام ، والصناديق الصغيرة التي تئن وتنتحب عندما توضع تحت الوسادة ، كما كان يبيع الاقنعة والاسنان المزيفة والشعر الذي يحول اجمل وجه الى غول ، وكانت دماه هي الاسوأ ، فقد كانت تعبس وتنظر شزراً وتحول عينيها ، لكن ، وللغرابة ، كان لهذه الالعاب سحر خاص في نفوس الاطفال الذين كانوا يرغبون بشراء بنادق الفلين التي يتدفق منها الحبر . والادوات الموسيقية التي تجعل كل كلب في المنطقة ينبح ، وكانت الفتيات الصغيرات يرجون امهاتهن للموافقة على شراء دمية واحدة مضحكة .

ولقد منع اهل «دروسل» اطفالهم من الذهاب الى دكان «مالكين» ولكنهم كانوا يذهبون ، فكم من البيوت عمت بها الفوضى بسبب الحيل والنكات التي يصنعها ويبيعها لهم صانع دمى «بيلس» .

كان «اندرز» من اكثر المعجبين بـ «مالكين» ولا يستطيع الابتعاد عن نافذة عرضه ، وما كانت المسافة بين

القريتين تعني شيئاً بالنسبة له ، وغالباً ما كان يضغط بأنفه على زجاج نافذة «مالكين» عندما كان اخوه واخته يظنان انه في المدرسة ، ونادراً ماكان يمتلك مصروفاً لانفاقه ، فقد تعلم «رودي» الاقتصاد منذ الصغر ، وعلم اخواته ان النقود يجب ان تكسب بعرق الجبين لا ان تؤخذ ، وكان يدفع لاندرز بنساً واحداً اجرة كنس الدكان ، ولكن «بيتر» العجوز دلل هذا الولد كثيراً ، حتى صار يشعر «اندرز» بالثراء كلما وضع في يده غروتا» .

ورغم وخزات ضميرة عند انفاق الـ «غروت» في دكان «مالكين» الا انه سرعان ماينسى هذا الاحساس ، ويخبىء مشترياته بحرص رغبة منه في عدم ازعاج احد .

كان زملاؤه يخمنون الشيء الذي يملأ محابرهم بحبر غريب ، يبقبق ويفور ملطخاً دفاترهم دون ان يغمسوا اقلامهم فيه ، وعندما يمرر وعاء العسل على طلاب المدرسة تلتصق السنتهم بأفواههم طوال الظهيرة ، كما يصاب «اندرز» بنفس الحالة تماماً ، وبالدهشة نفسها حول مفعول العسل .. فان آخر مشترياته كان بوقاً يصدر صوتاً مثل بقرة تتألم بحيث جعل كل فلاح يركض الى حظيرته ليطمئن على ابقاره .

ولكن ، رغم حبه للفكاهات والمقالب فقد كان «اندرز» مشهوراً ، فهو دائم الاستعداد لاداء الواجبات ، واسداء المعروف لاي انسان ، واذا تلكأ في الطريق اونسي شيئاً فلا يواجه باللوم ، لانه كان دائم الاسف لاخطائه كما كان طيب القلب .

كان «اندرز» متعصباً لاخته «السا» لكن «رودي» كان مثله الاعلى الذي يتبعه دائماً ويحاول تقليده في كل مايفعل ..

وقد وقع «رودي» في حب ابنة ناظر المدرسة «مارغريت» صديقة «السا» المقربة ، واخذ الناس يتحدثون عن زواج قريب بمجرد ان يكسب «رودي» مايكفي لاقامة بيت .

ورغم ان «رودي» اصبح شريكاً منذ زمن «لبيتر» وليس تلميذاً فقط ، الا ان هذا الامر لم يكن سهلاً ، فهناك الكثير من الواجبات الملقاة على عاتقه . اذ عليه ان يدفع اجرة البيت كل عام الى عمدة المدينة ، ويوفر ما استطاع لمصرفات «هانز» الولد الذكي الذي يجب ان يذهب الى الجامعة ثم بعدها يفتح له مكتب محاماة .

ثم هناك الولد الذي يتدرب عند الحداد ، والذي اخذ

ينمو بمعدل جعله يحتاج الى ملابس جديدة مرتين في السنة والى عدد من الاحذية الجلدية بسبب ذهابه وعودته من القرية البعيدة حيث يتدرب ، ثم هناك مصروفات البيت .

والى جانب ذلك ، كان يحب هو «والسا» ان يرسلا قطعة فضية ، بين وقت وآخر ، لاخويهما اللذين يخدمان باخلاص في الجيش .

«واندرز» نفسه يجب ان يتغذى جيداً ويلبس جيداً ، وتدفع مصروفات مدرسته ، ورغم الحاجه بان يترك الدراسة ويمتهن صناعة الدمى ، ينتهي هذا الالحاح دائماً بلكمة من اخيه الاكبر ، واعطائه حفنة من القطع الخشبية ليحفر عليها طيوراً وحيوانات جميلة .

كما تكسب «السا» مبلغاً لابأس به من الخياطة لتساعد في دفع ايجار البيت وشراء الكسوة ولكن الاهتمام بشؤون البيت والطهو اخذ الكثير من وقتها ، وغالباً ماتكون مجهدة لاتقوى على انجاز كل اعمالها .

ولهذه الاسباب مجتمعة لم يعد هناك امل بزواج قريب بين «رودي» ومارغريت» ، ولكنهما كانا مقتنعين بالانتظار ، وهكذا كانا يمضيان الوقت بسعادة يتطلعان

الى المستقبل دون اسف او ندم .

وقد سعدت «السا» لان صديقتها ستصبح زوجة لاخيها ، فأخذت تخيط بهمة ونشاط حتى تكسب مالاً كافيا لشراء اقمشة تطرز منها الوسائد والملاءات «لمارغريت» و «رودي» .

كانت العائلة كلها سعيدة للزواج المقبل ، الا اندرز ، فقد وجد ان «رودي» انشغل عنه ، لهذا اكتأب ولعدة اسابيع ثم انتظم في مدرسته حتى اصبح الاول على صفه .

وبعدها قرر ان يقع في الحب هو الاخر ، فاختار الصغيرة «جاني» ابنة الطحان ، التي كانت اصغر من ان تذهب الى المدرسة ، فوجد ذلك سبباً كافيا لتغيبه هو عن مدرسته .

[ماذا ؟ هل خرجت اليوم مبكراً ايضاً يا «اندرز»] سألته أم «جاني» وهي تعطيهما كعك الزنجبيل بينما كانا يجلسان جنباً الى جنب على عتبات المطحنة :

[هل كنت الاول على صفك ثانية ؟ اذاً ستصبح رجلاً ذكياً]

فخجل «اندرز» من التصريح امام «جاني» بأن

مستواه الدراسي قد هبط حتى اصبح الاخير على صفه وهكذا ملأ فمـه بكعك الـزنجبيل ولم يقـل شيئاً بينمـا ابتسمت لهما والدة «جاني» بلطف ودخلت البيت .

«٣»

الدمى

«خصص الملك جائـزة مقدارهـا الف قطعة ذهبيـة لافضل دمية»

جاءت هذه الاخبار الى قرية «دروسل» بواسطة اعلان ثبت على شجرة قرب بيت العمدة .

صرخ «اندرز» عندما قرأها :

[الف قطعة ذهبية لدمية واحدة ، وكل صانعي الدمى مدعوون للتنافس .. سيفوز «رودي» !]

ربما تكلم «اندرز» بحماس كبير ، لكن كل صانعي الدمى في المملكة مدعوون للمنافسة على جائزة الملك ، ولهم الحق في اشراك اي دمية يشاؤون ، وقد عين الملك الاميرة الصغيرة وابنة حطاب من الغابة قضاة .

وهكـذا انشغل اهـالي «دروسل» بحـديث الجائـزة لاسابيع عديدة في حين كان كل رجل وامرأة وطفل فخوراً بعمل صانعي الدمى الكبار «بيتر» العجوز و «رودي» .

وقد ابتسم «بيتر» العجوز في البدء وقال ان ايامه قد انقضت وتجاوزت مثل هذه الاشياء ، ولكن عائلته رفضت ان تستمع لمثل هذا الكلام ، وعندما رأى رودي يجـرب

ويتفحص افضل الاخشاب ، ويشحذ ادواته غير رأيه وتحمس للمشروع مثل ابنه بالتبني .

سعد «رودي» بذلك سعادة كبيرة وقضى الاثنان أيامهما جنباً الى جنب على دكة العمل مستغرقين في تنفيذ افكارهما ، شاحذين ادواتهما ، وهكذا قربت الشراكة بينهما اكثر من ذي قبل .

كما اخبر «اندرز» صديقته «جاني» عن نيته في دخول المباراة الملكية ، فأعطاه «رودي» مسامير واصباغاً وصحفاً للتسلية . لهذا اخذ غيابه عن المدرسة يكثر ، فكان يجلس على عتبات المطحنة قرب «جاني» يحفر دمية اثر اخرى ، دون ان يكمل واحدة منها فقد كان دائماً يريد ان يبدأ شيئاً جديداً ، ولهذا فقد تبعثرت قطع الاخشاب على درج المطحنة ، بينما جرفت عجلة المطحنة الكبيرة خيولاً خشبية بلا اقدام وعصافير بلا رؤوس . ورغم ان ام «جاني» ادركت ان تغيبه عن المدرسة ليس بسبب التفوق ، الا انها بقيت تقدم له كعك الزنجبيل .

[اذا ربح «رودي» الجائزة ، فسيتزوج مارغريت ، وسأرتدي معطفاً ازرق جديداً ، وسأشتري ازراراً فضية وسحاباً فضياً لحذائي . اما اذا ربحت انا الجائزة

فسنتزوج فوراً ، وسأشتري لك سلة من الفواكه المسكرة ومغزلاً ذهبياً وسأبني بيتاً صغيراً في الغابة وادعو اليه الجان والعفاريت لتستمتع بدفئه ،

... الن يكون ذلك جميلاً ؟]

لكن «جاني» قالت انها لاتريد مفارقة امها ، فرد عليها «اندرز» بلطف :

[حسناً ، سأشتري لك سلة الفواكه المسكرة]

مضى الصيف ، وحل الخريف ، وجمع الاخوة الفراولة الحمراء لاختهم «السا» وبالتدريج تحولت المياه المتدفقة من الشلال الى كتل جليدية ، بينما استمر جدول الطاحونة متدفقاً كالعادة رغم الجليد الذي يحيط به .

لقد صنعت «السا» معطفاً شتائياً جديداً «لاندرز» من معطف «رودي» القديم ، فذهب الى المطحنة ليريه «لجاني» وبما ان الجو كان بارداً لايسمح بالجلوس على عتبات المطحنة ، فقد عاد سريعاً الى الدكان حيث لايتعب ابداً من مراقبة «بيتر» العجوز و «رودي» وهما يحفران العابهما المدهشة .

كان «بيتر» العجوز يصنع بيتاً غير عادي ، وقد حفر السقف العريض ، والشرفة الخشبية . والمصاريع

الخضراء بشكل جميل يشبه البيوت العادية في القرية ، كما تدلت من العوارض زهور ملونة صغيرة ، بينما علقت تحت الافريز اعشاش السنونو بحجم الكشتبان والى جوارها تجمعت السنونوات تهز ذيولها الرقيقة النسمات الآتية من الباب المفتوح .

يستطيع الانسان التحديق لـلابد في هذا البيت الجميل ، ولكن داخله اجمل بكثير ، فبلمسة واحدة ، تنقلب الواجهة الامامية لتكشف عن غرفتين واحدة فوق والاخرى بالاسفل ، (وانها لتبدو حقيقية جداً حتى يظن كل طفل انه عائد الى بيته .

كانت الغرفة السفلى حظيرة للابقار ، تقطعها عوارض بسمك الاصبع ، تجثم عليها دجاجات وديوك خشبية تدس رؤوسها تحت اجنحتها الملونة ، وبعضها ينظر الى البقر في الاسفل . بينما يقف الديك الجميل بألوانه الخضراء والذهبية ضارباً بجناحيه ومنقاره مفتوح ليصيح وكأن الساعة هي الخامسة صباحاً . كما تبدو البقرات وكأنها حية رغم ان اكبر واحدة منها هي بحجم قبضة اليد ، مصبوغة بلون بني غامق ، تمضغ الطعام من المذود ، وتنتظر الصباح ، كما حفرها «بيتر»

العجوز .

وكانت الغرفة العليا للمعيشة ، بها مدفأة صغيرة تتوهج فيها قطع الفحم المصبوغة بالاحمر وفيها الاسرة الكبيرة ، الكراسي ، المناضد ، الخزانات والادراج كلها تبدو وكأنها من صنع الجان . وكان هناك مكانس صغيرة في الزاوية ، وفأس وقطع من الخشب ، بينما علقت فوق الباب اصغر بندقية في العالم .

كان «اندرز» يقضي نصف وقته يثني على هذا الفن الرائع ،ثم ينظر من خلال النوافذ عندما يكون البيت مغلقاً ، ويتملى منه تماماً عندما ينفتح . وعندما علق «بيتر» العجوز قطعة من جلد دب بحجم ورقة شجرة على حائط بيت الدمية ، ووضع رغيفاً من الخبز بحجم «غروت» قفز «اندرز» حول الدكان وهو يصيح :

[احسنت عمو «بيتر» ، ايها العم «بيتر» الذكي الطيب ، ستفوز حتماً بالجائزة ، وسترى انني صادق !]

وبعدئذ ، يقترب من الدكة حيث يعمل «رودي» ويلتصق به ليثني على عمله بدوره .

فقد كان رودي يصنع صندوقاً موسيقياً مدهشاً ، يبدو انه يعزف الحاناً بلا نهاية ، وقد حفره من اقدم

شجرات صنوبر في الجبل ، حيث أمضى يوماً كاملاً ، وبمعاونة اصدقائه من الجان والعفاريت ، ينتقل من شجرة الى اخرى ، ينقر الجذوع ، ويستمع الى الموسيقى التي تصدر عنها ، والى الريح وهي تداعب اغصانها ، والىٰ الترددات التي ترتفع وتهبط من السيقان الى الجذور ، وعندما وجد ضالته ، قطع الشجرة برفق بالفأس والمنشار ، وجذبها الى الارض بحبل حتى لاتفقد شيئاً من موسيقاها ، ثم اخذ ينقر ساقها من الاسفل الى الاعلى ويستمع حتى وجد الجزء الافضل الذي حفر منه صندوق الموسيقى هذا .

كما حفر «رودي» فوق غطاء الصندوق عشرين شخصية من قرية «دروسل» ، فالى جانب الجان والعفاريت من الغابة ، كان الفحام ، والحطاب والصياد ومعه كلبه وبندقيته . والعمدة بملابس الأحد ، والخباز مع ارغفة من الخبز ، ومدير المدرسة مع عدد من تلامذته بما فيهم «اندرز» ، والصغيرة جاني بمئزر «ابيض» وصانع الدمى العزيز «بيتر» يحمل بعضاً منها ، وهناك جنديان يشبهان اخوة «اندرز» وكذلك هناك اشجار التنوب الخضراء اللامعة تحمل اكوازاً وذئبين ، ودباً بني

اللون واقفا على قدميه الخلفيتين ، وكان حجم كل شخصية لايتجاوز مشبك الغسيل ، وعندما يدير «رودي» صندوق الموسيقى كانت هذه الشخصيات الصغيرة ترقص مع الالحان .

ولاعجب ان كان الدكان يزدحم بالاطفال من الصباح حتى المساء ، ولم يكن اي احد منهم يستقر على رأي في اي اللعبتين الرائعتين افضل ؟ ! .

«٤»

مارتا

كان اهل القرية مستغرقين في عمل صانعي الدمى ، بحيث لم يعيروا اهمية لما كان يجري في مكان آخر .

احضر «اندرز» الاخبار من «بيلس» وعندها ترك اهل القرية كل شيء وتجمعوا حوله عندما كان يقف قرب المضخة يخالجه احساس بالاهمية لانه مركز الاهتمام حيث اخبرهم ان «مالكين» صانع الدمى سيشترك في المباراة الملكية .

«وماذا يصنع ياأندرز ؟» سأله صوت متحمس «وكيف يصنعها ؟»

تنحنح «اندرز» وهمهم ، مستمتعاً بما يسبب من فضول :

[لقد توسل لي «مالكين» بكتمان الخبر ، حيث رأيت الدمية مصادفة عندما كنت امر بالجوار واظن انه من الافضل الا ابوح بشيء عنها !] .

وفوراً ارتفعت الاصوات من كل رجل وامرأة وطفل في ساحة القرية .

[ساعطيك خمس كعكات زبيب اذا اخبرتنا ماذا

رأيت !] قال الخباز .

سأعطيك زراً لمعطفك] وعده الخياط .

[لقد انجبت قطتي بضعة قطط صغيرة ، اختر واحدة منها لك] قالت امرأة عجوز ، بينما كانت ام جاني تناديه [تكلم يااندرز ، وسأخبز لك كعكة زنجبيل !]

وعندها وضع «اندرز» يديه على جانبيه ، وكان على وشك ان يفتح فمه عندما جاء صوت «رودي» من فوق الرؤوس :

[اذا وعدته فالزم الصمت يااندرز] .

لكن اندرز لم يستمع لكلام اخيه :

[لم اعده ابداً ، وهو يعرف كل شيء عن العابكما الرائعة ، صندوقك الموسيقي ، وبيت العم «بيتر» ، فلماذا يتوقع ان يبقى عمله سراً ؟]

[اخبرنا يا «اندرز» ، اخبرنا ؟ !] الح عليه الجميع ، واخذ «اندرز» يتكلم والجميع يسمعه بمن فيهم «رودي» :

[مالكين يصنع دمية !]

[اوه .. اهذا كل شيء ؟] وهدأ الجميع ، فلا احد مطلقاً يستطيع مقارنة احدى دمى «مالكين» البشعة بيت «بيتر» او صندوق «رودي» !

بينما اصر «اندرز» على ان الدمية غير عادية ، فهي

غاية في الجمال ، بيضاء وشعرها اسود كجناح الغراب ، شفتاها حمراوان مثل الكرز البري وقد رسمت عليها ابتسامة جميلة .

[الا تحول عينيها او تخرج لسانها يا «اندرز» ؟]
هكذا سأل الناس غير مصدقين .

وقد اكد لهم «اندرز» انها لاتفعل شيئاً من هذا القبيل ، فعيناها سوداوان ، ونظرها سليم ، ولهما رموش طويلة حتى خدودها ، ويتدلى من اذنيها قرطان ذهبيان .. انها جميلة كملكة ! .

[اوه .. ماذا في ذلك ، يستطيع اي واحد منا ان يصنع دمية !] هكذا سخر اهل القرية .

[ولكنها تمشي عندما يعبئها «مالكين» بمفتاح صغير ، حيث تنهض وتتبختر حول الدكان !] .

وعندها فتح اهل القرية عيونهم دهشة ، ومع ذلك فان الالعاب التي تمشي ليست جديدة عليهم .

[ولكنها تتكلم !] وقد احتفظ اندرز بهذه المعلومة حتى النهاية ، وبدأ يتحدث كيف بدأت الدمية تتحدث بصورة طبيعية ، فصوتها كجرس فضي

[وماذا تقول يا «اندرز» ؟]

[انها تقول كل شيء ، تماماً كأي سيدة ، تقرأ القصائد الطويلة وتغني مثل القبّرة !]

وفجأة اخذ «اندرز» يضحك ، وكأن وجود دمية تنشد وتغني مثل قبرة مدعاة للضحك وهكذا ضحك وضحك حتى اصابت عدوى الضحك اهل القرية فضحكوا معه .

حتى «رودي» كانت على وجهه ابتسامة عندما عاد الى الدكان ليخبر «بيتر» العجوز عن سبب الاضطراب ، ولكنه كان محتاراً ، فهو لم يفهم سبب ضحك «اندرز» ، اذ لا يمكن ان يكون «اندرز» قد وجد شيئاً مضحكاً فيما قاله . ولكن لو عرف كل مارآه «اندرز» فبالتأكيد لن يضحك . لان «اندرز» وبينما هو يتلصص من شرخ في سقف دكان ، «مالكين» راقب الاخير وهو يعبيء دميته اسرع فأسرع وعلى وجهه ابتسامة ، وعندما نزع المفتاح منها ، بدأت تتكلم بأعلى صوتها لكن هذه المرة ليست كسيدة ، بل بكلمات شريرة وسباب انزعج منها «اندرز» الطفل ذو التربية الحسنة .

ــزل من السقف وركض الى البيت باقصى سرعة تستطيعها قدماه الصغيرتان ، والآن ، وهو يشعر بالامان بين اهله ، اعتبر مغامرته مسلية ، ولم يمض وقت طويل

قبل ان يهمس بالقصة في اذن صديقة المقرب (بـاولي) الذي انتشرت منه القصة وبسرعة الى اذن كـل طفل في القرية . وفي ذلك المساء لم يكن هناك اي طفل في قرية «دروسل» ، لذا فقـد نامت القطط بسـلام على عتبـات البيوت وعمل صانعا الـدمى الاثنان دون ازعـاج ، ولم يسبق لهما ان عملا بمثل هذا الهدوء من قبل .

لكن وفي القرية المجاورة (بيلس) كان دكان «ماكلين» مطوقاً بجميع الاطفال ينقرون على النوافذ بأصابعهم ، ويتلصصون واضعين انوفهم على زجاج النوافذ .

كمـا تسلق بعض الاطفال الجـريئـين السقف مـع «انـدرز» ولكن «مالكـين» كـان قـد اصلـح الشرخ فلم يستطيعـوا رؤية شيء ، وهكـذا اسدل صـانع الـدمى الستائر واقفل الباب ، ولكن الاطفال تجمعوا ونقروا على النوافذواصروا على الدخول .. وأخيراً لم يعـد يستطيع الاحتمال فصرخ بهم :

[ماذا تريدون ؟]

[نريد رؤية الدمية ، الدمية التي تمشي وتتكلم]

وفي هذه اللحظة كان اطفال «بيلس» قد انضموا الى اطفال «دروسل» وبدا كما لو انهم سيكسرون باب الدكان

اذا لم يحقق لهم مالكين مايريدون .

فقال متذمراً [اية دمية تريدون ؟ عندي خمسون دمية في دكاني !]

[لا ..لا .. نريد الـدمية التي تمشي وتتكلم وتغني مثـل قبرة !]

وهنا فتح «مالكين» الباب متذمراً ، واشار الى الاطفال بالتوجه الى خلف الدكان ، حيث يعمل هناك على ضـوء شمعة .

جلست الدمية على الدكة بأناقة ، كأي طفلة مؤدبة ، وعندما دخل الاطفال وقفت وانحنت وتبخـتـرت امامهم مثل اميرة صغيرة ، بحيث يصعب التصديق بأنها ليست من لحم ودم .

كانت جميلة جداً ، كما وصفها لهم «اندرز» ، جلدها ابيض وشفتاها حمراوان وعيناها براقتان ، وهي ليست كما يلون «مالكين» العابه الاخرى .. ثم قالت لهم محيية بصوت عال صاف .

[مساء الخير يااطفال ..

حدق الاطفال بها ، ثم سألوا عندما جلست ثانية :

[وماذا تستطيع ان تقول ايضاً ؟]

عندما رأى مالكين الاحترام والاعجاب على وجوههم ،
اصبح اكثر وداً :
[سأعبئهاثانية ... وسترون بأنفسكم !]
وهنا اخرج مفتاحاً فضياً صغيراً من سلسلة معلقة في عنقه ، ووضعه في فتحة تحت يد الدمية وفوراً بدأت تنشد :
وعندئذ سأله الاطفال :
[هل تنشد دائماً نفس القصيدة ؟]
[لاطبعاً ، انشدي لهم قصيدة اخرى ياعزيزتي ؟]
ردت عليه بأدب : [سأنشد قصيدة عن الريح]

انا صبية .. انا عجوز
انا خجولة .. انا جسور
انا جامحة .. انا حرة
بيتي العالم الواسع كله
استطيع ان اكسر .. اقدر ان الوي
استطيع ان اسلب .. استطيع ان امزق
وانا عصية على الاسر ..

اعجب الاطفال بهذه القصيدة ، لكن «مالكين» بدأ

مغتاظاً :
[كان يجب ان تختاري شيئاً افضل ياعزيزتي !]
ثم صفق الاطفال بأيديهم وطلبوا المزيد :
[يجب ان اعبأ ثانية .. انني افرغ ..]
[حسن ، ولكنه قليل جداً ويجب ان يكون الانسان حريصاً في البداية فمفاتيح التشغيل لازالت صلبة !]
قفزت الدمية حول الدكان بفرح ، وصرخ الاطفال لدى رؤيتها مستمتعين بها ، فوبخهم «مالكين» قائلاً :
[هش .. ستتعبونها هكذا .. غني لنا ياعزيزتي]
كان الصوت الذي خرج من سطح «مالكين» جميلاً كصوت قبرة وقد استمع اليها الاطفال مفتونين الى ان اكملت نشيدها .
سر «مالكين» كثيراً بحماس الاطفال حتى انه وافق ان تغني لهم الدمية ثانية .
[غني لهم اغنية الملائكة !]
لكنها زمت شفتيها ودمدمت :
[يجب ان تملأني ثانية ، كيف استطيع ان اغني وانا فارغة !]

فاخرج «مالكين» مفتاحه وملأها ثانية ثم وهو يديره :

[لماذا ..لم تفرغي بعد ؟ !]

قفزت الدمية فرحاً ، وتجولت هنا وهناك برشاقة ، وعندما هدأت اخيراً ، اخذت تغني اغنية ، ماكانت اغنية الملائكة ، بل اغنية قطاع طرق ، اثارت الاطفال وتجاوبوا معها بالتصفيق وعندما انتهت ، صرخ الاطفال واعلنوا عن اعجابهم ، لكن «مالكين» بدأ مغتاظاً وعنف الدمية غاضباً :

[هذه ليست الاغنية التي طلبتها منك !]

وهنا ، وضعت رأسها بين يديها وانفجرت بالبكاء

[لاتوبخها يا «مالكين» لاتوبخها ، ارجوك ، اطلب منها ان تغني اغنية الملائكة لتعبر عن اسفها !]

[اوه سأفعل .. سأفعل ـ لكنني متعبة جداً ، ارجوك عبئني ثانية ياسيدي اللطيف لانني فرغت تماماً] .

[هذا عبث ، لقد عبأتك بما يكفي لعشرين اغنية ، وما تقولينه مضحك للغاية] هكذا قال صانع الدمى غاضباً .

فازداد بكاء الدمية .

[ليس بي قوة بعد ، فلقد فرغت تماماً] قالت بصوت واهن ضعيف .

[عبئها يا «مالكين» عبئها !] صرخ الاطفال ، راجين وهم يقفزون ويصفقون بأيديهم :

وهنا قال اندرز :

[قد تربح جائزة الملك يا «مالكين» الماهر !]

فنظرت الدمية من بين اصبعيها ، غامزة اياه ، مما جعله يقفز ، وفي الوقت نفسه اخرج «مالكين» مفتاحه وعبأ الدمية للمرة الاخيرة ، وادار المفتاح عدة دورات بحيث لم يعد هناك مجال لدورة اخرى ، فصرخ صانع الدمى بغضب شديد :

[لماذا ، لم تفرغي بعد !] وهنا صرخت الدمية بفرح وسرور وقفزت من بين يديه ..

لقد قفزت الدمية من المقعد الى الدكة ، ومن الدكة الى الرف ومنها الى النافذة هرباً من «مالكين» الذي لاحقها ، واخيراً جثمت فوق افريز على السقف ، حيث اغلقت عينيها وضمت يديها واخذت تغني اغنية الملائكة بصوت اجمل من صوت القبرة .

ولكن ، ما كاد الاطفال يهدأون ، وما كاد «مالكين» يخرج نفسه من بين الصناديق والدكة الى حيث وصل عندما كان يطارد الدمية ، حتى توقفت هذه في منتصف

الاغنية ، وفتحت يديها وعينيها واخذت تكيل سيلا من اقذع الشتائم والسباب وقد فوجىء الاطفال بالتغير المفاجىء ، ثم انفجروا ضاحكين على هذا الشلال من الكلمات الوقحة التي كانت ستستمر لولا ان قفز «مالكين» قفزة قوية وامسك بالدمية من قدمها وعندها تخبطت بعيداً عن الافريز ، واستلقت بين يدي «مالكين» صامته مدعية انها كسرت .

[انك مخلوق سيء] قال مالكين ذلك وهو يهزها حتى قعقعت مفاصلها [كيف اعاقبك ؟ !]

[لماذا علمتني هذه الالفاظ ؟ !] تنهدت الدمية بوهن ، ولكنها غمزت اندرز ثانية الذي اشفق عليها قائلاً [سأجعل منك دمية صالحة !] دمدم صانع الدمى وهو يلقي بها على الكرسي : [ساصنع منك سيدة ، وستكسبين لي جائزة الملك !]

[كيف ساكون سيدة وملابسي رثة وانا فقيرة ؟ ولو كان عندي ملابس جميلة لما فكرت بقول كلمة سيئة ، اذ من الصعب ان يقع اختيار الاميرة علي بمثل هذه الثياب الرثة ، ولكنني لا اظن انك تملك ثمن ملابس افضل من هذه ياسيدي العزيز ، لان الملابس الجميلة تكلف كثيراً

ولكن «السا» اخت «اندرز» الخياطة في قرية «دروسل» تستطيع ان تخيطها لي !]

وهنا عبس «مالكين» وعض على اصبعه ، ثم اخرج كل الاطفال من الدكان واقفل الباب ، لكن «اندرز» عاد وهو يصيح من ثقب المفتاح :

[ما اسم الدمية يا «مالكين» ؟]

فانفجرت ضحكة حادة من آخر الدكان واجابت :

[اسمي «مارتا»]

«٥»

«مالكين» في زيارة الخياطة

انتشرت الاخبار سريعاً وبعيداً في حين كان اطفال «دروسل» يركضون كل يوم لزيارة «مالكين» وحتى الاهالي ، كانوا يذهبون بحجة زيارة الاقارب .

ولم يكن «مالكين» ليسمح بدخول احد الى الدكان فقد اغلق بابه بالقفل والمفتاح ، حتى اولئك الذين جاءوا للشراء اعادهم من حيث اتوا .

كانت ستائره مقفلة ، وثقب المفتاح مغطى ، حتى انه وضع شمعاً فوق السطح ليجعله زلقاً جداً لايستطيع طفل تسلقه .

واخيراً ، وبعد اسبوعين ، حدث شيء عجيب ، حيث فتح الباب ، وازيحت الستائر ، وفي منتصف واجهة الدكان الزجاجية كانت الدمية تجلس جميلة كالعادة . رغم انها لاتزال ترتدي نفس الملابس الرثة والحذاء القديم ، وكأن ذلك لم يكن بحد ذاته مدهشاً فقد خرج «مالكين» الى الباب ليرحب بالزبائن ويدعوهم للدخول وقد بدأ عليه القلق الشديد وهو يعرض دميته على الناس ، ثم طلب منها قائلاً :

[ارقصي للاطفال] فرقصت .

[غني لهم !] فغنت .

رغم ان «مالكين» عبأها حتى النهاية الا انها لم تتصرف بحماقة ابداً ، ولم تقم بعمل شيء لم يأمرها به .

فلقد حولها بالتأكيد الى مثال للدمى وقد اعجب بها اهالي الاطفال ، كما لم يعجبوا بأي عمل «لمالكين» من قبل ولكنهم كانوا يرددون [من المحزن ان الدمية الجميلة لاتملك ثوباً جميلاً]

وبعد ظهيرة احد الايام ، وبينما كانت «السا» المشلولة تجلس في مقعدها تنظر من النافذة حيث يلعب الاطفال في الثلج ، وقد انهت خياطتها لذلك اليوم وكانت على وشك ان تشعل القنديل وتعد الشاي لأخوتها ، عندما رأت شخصاً يرتدي معطفاً داكناً ، يمشي متفادياً الطريق العام من باب الى باب وكأنه يرغب بالابتعاد عن الاطفال المشاكسين الذين يتقاذفون الكرات الثلجية .

ولدهشتها ، توقف الشخص امام بيتها وطرق :

[ادخل !] صاحت «السا» وهي تظنه صديقاً جاء لرؤية «رودي» الذي سيحضر بعد قليل .

وعندما فتح الباب ، دخل «مالكين» وهو يزيل الثلج عن

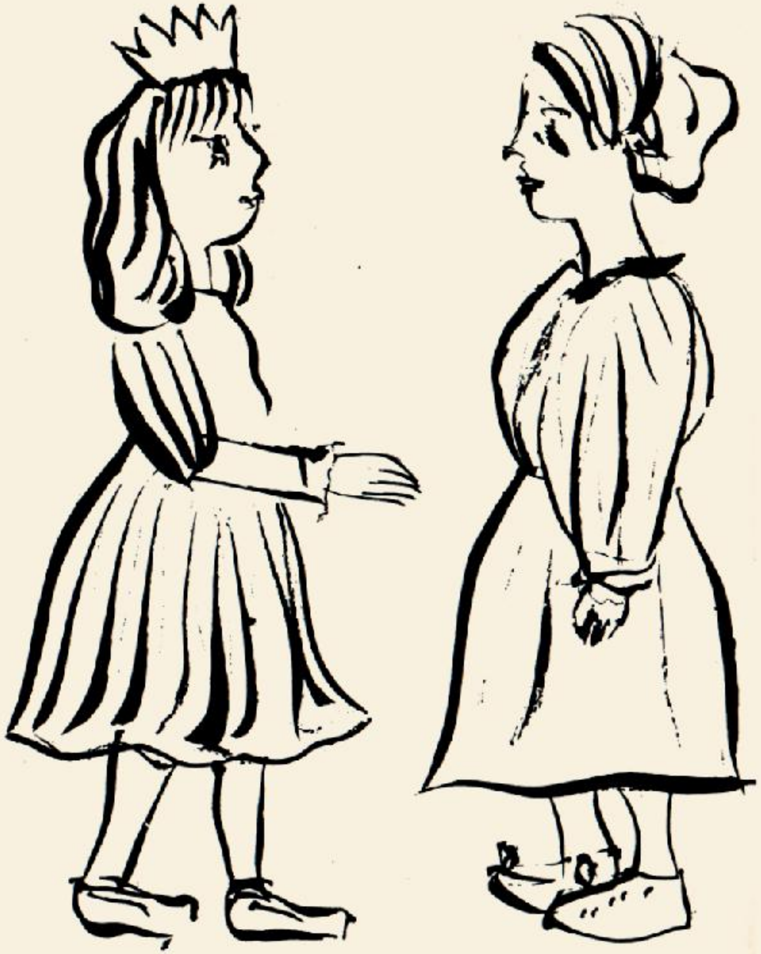
حذائه ، لم تكن «السا» قد رأت صانع دمى «بيلس» من قبل ، ولكن شيئاً ما نفرها منه ، وبلطف وأدب سألته ان كانت تستطيع ان تقدم له خدمة فقال وهو يدفىء يديه امام النار :

[لقد سمعت ياسيدتي عن شهرتك كخياطة
فالناس في القرى القريبة والبعيدة يتحدثون عن مهارتك]

[لايمكن ان يكون هذا صحيحاً] هكذا ردت عليه «السا» بجدية واضافت : [ليس لدي الوقت لاقوم بعمل كثير، انني اصنع قليلاً من الملابس لاطفال «دروسل» ، ولايمكن ان تكون الاخبار قد انتشرت بعيداً ، فماذا تريد ؟]

[سيدتي العزيزة ، لي طفلة في السابعة ، وهي يتيمة ليس لها من يخيط ثيابها مثل بقية البنات واريد لها ثوباً وقفازاً وجواريب وحذاء وملابس داخلية ، فهل تستطيعين ان تخيطيها لها ؟ ويجب ان تكون من افضل الاقمشة لطفلتي العزيزة ، وسأدفع لك خمس قطع ذهبية اذا استطعت ان تنجزيها خلال اسبوع !]

فرق قلب «السا» للطفلة اليتيمة ، فهي لم تنس النضال الذي قامت به من اجل ملابس اخوتها .



[لن اخذ خمس قطع ذهبية لملابس الطفلة ، بل تكفي ثلاث !]

[اوه ! لكنني اريدها من افضل الاقمشة والحذاء يجب ان يكون من الساتان ، والجواريب من الحرير ، ويجب ان تضعي لها شرائط على معطفها ، وقفازاتها من الجلد الاصلي ، اما بالنسبة للثوب فإنني ياسيدتي العزيزة اترك لك امر اختيار ماترغب فيه فتاة صغيرة]

فسألته بتعجب : [لماذا لم تذهب الى المدينة ؟]

[اذ ستجد هناك خياطات اكثر مهارة مني وتستطيع ان تختار اقمشة افضل مما لدي !]

فهز مالكين رأسه [جميع خياطات المدينة مشغولات ولايمكنهن انجاز ماريد خلال اسبوع] .

ولكنه كان يعرف جيداً ان معظم الخياطات سيطالبن بخمسة اضعاف ماكان سيدفعه «لالسا» .

[حسناً ، سأبذل جهدي] وعدته «السا» وهي تفكر بالطفلة اليتيمة وبالاقمشة التي يجب ان تشتريها بالقطع الذهبية لتطرز «شراشف» «رودي» «ومارغريت» .

[اذا احضرت ابنتك الصغيرة فسأخذ قياساتها

[لن استطيع احضار طفلتي عبر الغابة في هذه الثلوج

لكن هذه هي قياساتها على هذه الورقة حيث ستجدين كل مايلزمك] .

عندما تفحصت «السا» القياسات استغربت صغر حجم الطفلة ونحول خصرها .

[لابد ان ابنتك غاية في الرقة ، وسيكون الامر اشبه بخياطة ملابس دمية !]

[نعم ، انها صغيرة ونحيلة نسبة لعمرها] قال «مالكين» بعصبية وهو يغادر ، وقد وعدته «السا» انها ستبذل مافي وسعها ، وخرج سريعاً كما دخل .

دخل الاولاد فور خروجه ، كان «رودي» هادئاً ومرحاً «هانز» محملاً بالكتب و «اندرز» طافحاً بالحيوية مالئاً الغرفة بالضحك ونديف الثلج :

[ماذا كان يفعل «مالكين» هنا ؟] سأل وهو يعلق معطفه .

[مالكين !] قال «رودي» و «هانز» معاً باستغراب [هل جاء الى هنا ؟]

[لم اكن اعرف انه «مالكين» لقد جاء يطلب مني خياطة بعض الملابس لابنته الصغيرة] قالت «السا» وهي على وشك البكاء . فرد عليها «رودي»

[لكن مالكين بلا اطفال ، مامعنى هذا ؟]

فانفجر «اندرز» ضاحكاً : [لماذا ؟ انها للدمية «مارتا» ، ان الملابس للدمية التي يصنعها ليتقدم بها لنيل جائزة الملك !]

[لماذا خدعني اذن ؟] قالت «السا» ساخطة متذمرة ، فهي تكره الخداع والكذب .

لم يقل «اندرز» شيئاً ، فلقد حزر ان «مالكين» خاف ان تصل اخبار تصرفات الدمية السيئة الى «دروسل» ، رغم ان الاطفال لم يفشوا سرها .

[لاتخيطي له شيئاً] قال لها «هانز» .

لكن «رودي» قال :

[اذا وعدته فعليك ان تفي بوعدك والا فسيقول اهالي «بيلس» اننا تملكتنا الغيرة ونحاول ان نفسد فرصة صانع دماهم ، ولاتأخذي منه اكثر مما تكلفك الاقمشة !]

[طبعاً لن افعل] فقد وعدته «السا» .

لكنها لم تجد متعة في خياطة الملابس الرقيقة لمنافس اخيها ، وربما شعرت ان هناك شيئاً منفراً في «مالكين» منذ البداية . لهذا فقد قررت الا تراه ثانية ، لذا اتمت خياطة الملابس قبل موعدها بيوم وارسلتها مع «اندرز»

الى قرية «بيلس» بعد انتهاء دوام المدرسة مباشرة . وكانت ملابس ناعمة جميلة ، كما يتمناها كل انسان ، تناسب حتى ملكة ، بل لقد قال «اندرز» ان «مالكين» سر سروراً كبير ، وسعد ايضاً لانه لم يدفع سوى ثلاث قطع ذهبية فقط .

ولقد بدت الدمية اجمل مما كانت في ثيابها الجديدة ، كما قال «اندرز» :

[ربما تكونين كسوت الدمية التي ستربح جائزة الملك !]

[اوه «اندرز» ، كيف تستطيع ان تقول هذا ؟]

صرخت «السا» بألم ، فاحتضنها «اندرز» بين يديه :

[حسن ، ألم تخيطي ملابس شخصيات صندوق «رودي» الموسيقي ؟]

اقر كل الناس ان دمية «مالكين» منافس حقيقي لالعاب «رودي» و «بيتر العجوز» بعد ان اخذت تتصرف كسيدة وتبدو كذلك .

كان «مالكين» شديد الفخر بها ، يقودها حول القرية في الايام المشمسة ويستعرضها امام اهل القرية ، ويطلب منها ان تنحني وتحيي الجميع ، وقد ارتدت رداءً يغطي

الملابس التي خاطتها «السا» .

وقد احبها اطفال القريتين ، كان دكان «بيتر» خالياً في الغالب ، اما دكان «مالكين» فقد كان يعج بالاطفال ، وحتى الكبار بدأوا يحبون الدمية ، التي كانت عالية الاخلاق بحيث اصبحت موضع المقارنة كلما تصرف احد الاطفال تصرفاً سيئاً .

حتى الاطفال الصغار نسوا تماماً ان «مارتا» تصرفت بشكل سيء في يوم من الايام .

وهكذا مرت الايام ولم يبق منها على المباراة الملكية سوى عشرة ايام .

«٦»

في القصر

بينما كانت القريتان .. وقرى اخرى غيرهما في اوج الحماسة والانفعال لاعمال حرفييها ، كان التوتر يتصاعد في القصر نفسه ، حيث الاميرة الصغيرة تعد الايام التي تقربها من المباراة ، لترى جميع الالعاب المدهشة امامها لتحكم ايها الافضل .

كما قرر الملك بحكمة انه يجب ان تشارك في مسؤولية الاختيار طفلة ليست غنية او محظوظة ولاتملك العاباً تملأ غرفتها ، وقد حان الوقت لتتعرف الفتاتان الحكمان احداهما على الاخرى ، لذلك فقد دعا ابنة الحطاب «انا» لتقضي امسية في القصر مع الاميرة ، ومن ثم ترد الاخيرة الزيارة وتقضي بضع ساعات في كوخ الحطاب .

كانت ابنة الحطاب شاحبة خجلة عندما احضرها والدها الى القصر ، ولكن ما ان التقت الفتاتان حتى اصبحتا صديقتين واخذتا تناقشان بحماسة بالغة المباراة المقبلة والالعاب الجميلة التي تتوقعان مشاهدتها .

[من المؤكد ان يحضر صانع دمى «سانتا فليكس»

بعضاً من العابه الجميلة ، التي تفتح عيونها وتغمضها ، كانت ناعمة اليدين والقدمين مدورتهما ، حتى ليظنهما المرء اطفالاً حقيقيين وانا اعرف ذلك لان والدي اهداني واحدة منها ، لكنني القيت بها في البحيرة فتساقط كل شعرها !]

فردت عليها ابنة الحطاب :

[اخبرني والدي ان صانع دمى «لنزل» يصنع فرقة من الدببة المضحكة ، يقدم كل واحد منها عرضاً مختلفاً عن الاخر ولقد قال انها محفورة ومتقنة حتى لتبدو وكأنها حية]

[وقد سمعت عن ارجوحة من قرية «ريبيلي» ، تغطيها الاجراس التي تقرع عندما تركبينها] وهنا اكملت الاميرة :

[وتخيلي المساحة التي سنحتاجها لعرض هذه الالعاب الكثيرة ، لقد امر والدي بأفراغ قاعة المآدب ، واعتقد انها بالكاد تفي للعرض . هل سمعت عن صانع الكرات الزجاجية (دعابل) من «زويكلين» حيث يوجد داخل كل كرة لوحة رغم ان الواحدة منها لاتتجاوز حبة الجوز ، آه لو رأيت غزال الرنه وهو يقفز بين الثلوج !

لم تكن «انا» ابنة الحطاب قد سمعت بمثل هذه الالعاب الجميلة التي وصفتها الاميرة ، ولم تر مجموعة واسعة من الالعاب كتلك التي اصطفت على الرفوف في غرفة الاميرة .

وبعد اسبوع ردت الاميرة زيارة «أنا» حيث ذهبت الى الغابة ، تركب زحافة مغطاة بجلد الفقمة ، وترتدي قلنسوة مخملية حمراء لتحميها من البرد ، وما ان دخلت المطبخ حتى نزعت معطفها الفرو الصغير واخذت تقفز هنا وهناك جذلة بما تراه .

ولقد اعجبت بالدمية الطريفة التي احضرها والد «أنا» من احد معارض الصيف ، وبالخراف والابقار التي حفرها اخوها وهو يرعى قطيعه على حافة الجبل ، واحبت نايه وصفارته واغصان الاشجار المزينة كما اعجبت بالأوراق والازهار ، وبالحذاء الخشبي الصغير الذي لايصلح الا ان يكون دمية تعلق فوق المدفأة .

وهكذا امضت الفتاتان ساعات سعيدة معاً ، وافترقتا ، وكلهما رغبة وشوق للقاءٍ ثانٍ سيكون يوم جائزة الملك .

«٧»

«اندرز» و «ماتا»

بدأ رودي ، الان ، يفكر فيما يعنيه له كسب جائـزة الملك .

اذ سيجعله شرف كسب الجائزة اول صانع دمى في البلاد ، وسيبقى اسمه مشهوراً الى الابد . وسيستطيع الزواج من مارغريت فوراً ، حيث سيبني كوخاً جـديداً يتسع للعائلة وبيتر العجوز ايضاً الذي سلبته السنوات قوته وصحته . وسيضمن مستقبل هانز ، كما سيدخل اخويه في مراتب اعلى في الوظيفة ، ويساعد اخاه على ان يصبح حداداً ماهراً .

اما «اندرز» وهنا ابتسم «رودي» بود ، انه يفكر بأن هذا الطفل المولع بالحيل سيحتاج الى مصروفات اكثر من اخوته جميعـاً لضمان مستقبلـه . وسيشتري مقعـداً جديداً لمساعدة «السا» كما سيشتري لها ايضاً المغزل الـذي تحبه ، وفي الحقيقـة ، كلما فكـر فيما ستجلبه الجائزة للعائلة تمنى ، رغماً عنه ، في ان يكسبها ! .

رغماً عنه ، لان «رودي» يعرف ان هذه هي فـرصة «بيتر» العجوز الاخيرة ليجعل آخر عمل له ، افضل عمل

في حياته . فأذا كسب الجائزة فعندها سيموت وهو اسعد رجل في العالم ، ولم يضن عليه قلب «رودي» العطوف هذا الجزاء . اما حينما يغفل عن مراقبة نفسه فانه يعترف بينه وبين نفسه انه يحتاج الى شرف نيل الجائزة ونقودها اكثر من اي انسان اخر

شاهد «رودي» دمية «مالكـين» تمشي في الشارع الى جواره وقد ارتدت الملابس التي خاطتها لها «السا» وكان «رودي» يحييه باقتضاب ، الا ان «مالكين» كان يشيـح برأسه خجلاً من خداعه لـ «السا» ، كما كان يفكر بأن الدمية ستكون منافساً خطيراً بالتأكيد إذا كانت متقنة كما يبدو من شكلها ، وهذا ماكان يفكر به اهل القريـة ايضاً ويقولون بانزعاج :

[لقد سبقك «مالكين» هذه المرة يا «رودي» .

[ومن الذي قال ان «مالكين» لايستطيع ان يصنع دمية مثالية .. كان على احدنا ان يبدع شيئاً جديداً .

وقد رفض «بيتر» صانع الدمى العجوز ان يترك عمله ليرى دمية «مالكين» ، كمـا انه لم يعـر اهمية لـوصف «رودي» لها ، وقال له انه لايزال يعتبره طفلاً بريئاً لايزال يجلس على حجره :

[انا اعرف «مالكين» لاكثر من ستين سنة ولم تعرفه انت الا من ثمان ، انه لم يصنع في حياته دمية مثالية .

ولقد اصبح «اندرز» قلقاً ، ولم يعد يهمه ان يفوز بالجائزة اي واحد من الاعزاء المقربين ، ولكن كبرياءه العائلي سبب له هذا القلق ، فلا يمكن الانكار ان بيت دمى «بيتر» العجوز كان جميلاً جداً ، وصندوق «رودي» الموسيقي فريد من نوعه ولكن اين يمكن ان يكون المرء قد شاهد دمية تنافس «مارتا» ؟ خصوصاً ، الآن بعد ان ارتدت الملابس الانيقة واصبحت مؤدبة تساوي وزنها ذهباً ، ولكن «مالكين» لايستحق ان يربح .

وان «اندرز» يعرف عنه الكثير مما لايعرفه الاخرون يعرف كيف كان يبتهج عندما تؤذي حيله الناس ، وكيف يتكلم بحقد عن الناس خلف ظهورهم ، ويحاول ايذاءهم . لهذا كان عندما يسمع احدهم يمدح صانع دمى «بيلس» بقوله انه صنع دمية افضل من العاب «رودي» «وبيتر» يغلي سخطاً . ثم اخذ يفكر كيف يستطيع الدفاع عمن يحبهم ويحبط محاولات صانع الدمى الشرير .

فجأة ، صار يذهب الى «بيلس» في الاماسي ، وحيداً

بعد ان يعود بقية الاطفال الى بيوتهم فيساعد «مالكين» بطريقة او بأخرى ، وكان دائماً مؤدباً حتى اخذ صانع الدمى يميل اليه .

ولقد استمتعت «مارتا» ايضاً بصحبته لانه كان يعاملها معاملة انسان بدل ان يحدق بها ويشير اليها كبقية الاطفال ، فكانت تصفق بيديها عندما تراه وتتقبل منه الحلوى شاكرة .. اوه ، نعم ، لقد كانت دمية «مالكين» تأكل الحلوى وتكسر اللوز بأسنانها البيض تماماً مثل أي تلميذ في المدرسة وكانت تستمتع بذلك كثيراً .

كما اصبح «مالكين» يثق «بأندرز» كثيراً ويسمح له ان يأخذ «مارتا» للنزهة بين وقت وآخر ، وهو يراقبهما بحذر طوال الوقت من النافذة ، فكان «اندرز» يمشي متبختراً ، لأنه صار موضع حسد كل طفل في الجوار وهو يسير مع «الدمية» الرشيقة التي تحبه .

لكن «اندرز» كان يفكر في خطة ، وهو يعلم ان «رودي» لايوافقه عليها ، وبما انه صغير السن جداً فقد تأثر كثيراً «بمالكين» .

وحينما اقفل «مالكين» دكانه في يوم العطلة ، وترك

الدمية في الداخل ، خرج وحيداً ليذهب الى المدينة المجاورة ، فهو لايزال يعيد اصلاح الدمية ويريد شراء بعض الاسلاك من اجل تلك المهمة .

عندها عرض عليه «اندرز» البقاء في الدكان اثناء غيابه لكنه رفض مبتسماً وهو يقول :

[مارتا موجودة ، فاذا جاء احدهم ليسرقها فلن تستطيع وحدك ان تجابه عصابة لصوص !]

وهكذا خرج ومفتاح الدكان في جيبه . بينما كان «اندرز» يسترق النظر من ثقب المفتاح حيث رأى «مارتا» جالسة على المقعد مكتئبة ، ولكنها قفزت فرحة عندما سمعت صفارته وصاحت بانفعال :

[تعال يا «اندرز» ادخل] .

[لقد ذهب «مالكين» واقفل الباب ، فأذهبي انتي وافتحي قفل النافذة الخلفية حتى استطيع الدخول منها]

وقد فعلت الدمية ماطلب منها ، وبعد دقيقة نفض «اندرز» الثلج عن حذائه ودخل البيت .

فابتهجت «مارتا» لرؤيته ولعبا معاً فترة من الزمن ، واقتسما بعض البسكويت الذي كان «مالكين» قد تركه قبل ذهابه لتسلية الدمية .

كما اقترح «اندرز» على الدمية الخروج في نزهة الى الشارع ، فرفضت لان «مالكين» منعها من الخروج دون اذن منه . فرد عليها اندرز بلامبالاة :

[لم يكن يهمك مايقوله «مالكين» !]

[اوه ، لقد كنت سيئة التربية في تلك الايام ، الا ان السيد «مالكين» اصلح مفاتيح التشغيل لهذا لا اريد ان اكون شقية وغير مؤدبة ، ثم كيف لا اكون طيبة وانا امتلك ملابس جميلة وثمينة ؟]

[ملابسك جميلة !] رد عليها «اندرز» وهو يتذكر كيف خدع «مالكين» اخته :

[لكنك لاتبدين سيدة ، ومن المحزن انك لا تمتلكين قلادة جميلة !]

فردت عليه الدمية بتذمر :

[عندي اقراط]

[نعم ، أه نعم ، ان اذنيك ايضاً غاية في الجمال ، لكني لازلت افكر في انك يجب ان تمتلكي قلادة ايضاً]

فردت الدمية وهي على وشك البكاء :

[ولد رديء ، لماذا وضعت هذه الفكرة في رأسي ؟ انا اعرف ان سيدي لن يشتري لي واحدة وهو دائم الشكوى

بسبب المبلغ الذي صرفه على ملابسي !]

[اوه .. اذا كان هذا هو السبب ، فأنا اعرف اين تستطيعين الحصول على قلادة بلا ثمن ، فهناك بعض الفراولة الحمراء فوق التلة خلف القرية ، ولقد نفضت الثلج عنها هذا الصباح ، وهي تصلح لان تكون لك قلادة جميلة تعلق في سلسلة تليق بملابسك الجميلة !]

[اوه ، اذهب واحضرها لي ياعزيزي «اندرز» اللطيف]

الا ان «اندز» هز رأسه :

[انها عالية علي ، ولقد حاولت الوصول اليها عندما نفضت الثلج عن غصنها ولم استطع ولكن لو رفعتك فقد تستطيعين التقاطها بنفسك]

وهنا رقصت الدمية فرحاً :

[هل تظن ذلك يا «اندرز» ؟ لنذهب الان ، ولكن انتظر حتى احضر معطفي او ربما نستطيع العودة قبل عودة السيد «مالكين» وعندها كم سيسره ان يراني البس قلادة جميلة لم تكلفه شيئاً !]

ثم ارتدت معطفها وقبعتها ، وخلال لحظات كان الاثنان يتسلقان خارجين من النافذة مسرعين من خلف البيوت ، رغم ان احداً لن يدهش لرؤيتها معاً ، حيث قد

اعتاد الناس ملاقاتهما يتمشيان يداً بيد في شوارع القرية .

ولقد تذمرت الدمية عندما تركا القرية خلفهما واخذا يتسلقان المنحدرات الشاهقة خلف البيوت وقالت .

[لماذا لم تخبرني انها بهذا البعد ! ثم لماذا تمشي سريعاً يا «اندرز» ؟]

فرد عليها باقتضاب :

[انها ليست بعيدة ، فكري بقلادتك الجميلة ، فأنت تريدين ان تربحي جائزة الملك اليس كذلك ؟]

فردت عليه الدمية بابتسامة متكلفة :

[طبعاً اريد ذلك وستبدو الدمى كلها سخيفة عندما يمشي سيدي وحقيبة القطع الذهبية في يده وكم ساضحك عندما يعودون جميعاً خائبين !]

فقال اندرز وهو ينظر اليها بحدة :

[يبدو لي ان «مالكين» لم يكمل عمله ، والآن اسرعي .. اننا نكاد نصل]

[انت تمسك يدي بقوة شديدة وتؤلمني ، عليك ان تحملني اذا اردت ان لا اقع في الثلج] .

وهنا رفعها «اندرز» دون ان يتفوه بكلمة ، ثم حملها بين

ذراعيه حتى خف الانحدار ووصل الى هضبة صغيرة بين اشجار التنوب :

[اين هي الفراولة ؟]

ومن دون ان يرد ، صفر «اندرز» بحدة عدة مرات . وفجأة سمعا صوت رطانة وحفيف ، وعندما ازيحت اغصان التنوب ، خرجت ايادي سمراء من بين الاشجار واطلت وجوه فضولية من حول الجذوع وملأت الغابة اصوات وهمهمات عندما اجابت الجن والعفاريت نداء اندرز وجاءت مندفعة نحوه حيث وقف ممسكاً «مارتا» بيده . وعندها فتحت الدمية عينيها السوداوين باستغراب حين سمعت «اندرز» يقول :

[اصدقائي وجيراني ، لقد احضرت لكم ملكة ! وتستطيعون ان تروا كم هي جميلة ، ولها صوت مثل القبرة ، عاملوها جيداً ، وقدموا لها الهدايا ، وامنحوها افضل كنوزكم واطيب طعامك ، واصنعوا لها قلادة من الجواهر التي استخرجتموها من الثلوج ، ولا تدعوها تترككم ابداً بل دعوها تَرَكم هو جميل ان تكون ملكة لكم .. وداعاً ياعزيزتي ، قد تظنيني قاسياً الآن ، ولكنك ستكونين هنا اسعد حالاً بين اصدقاء الغابة اكثر مما كنت

تأملين مع «مالكين» الشرير !]

وهنا سمحت «مارتا» للعفاريت بقيادتها وهي بين الدهشة والخوف ، فاسرعوا بها عبر الاشجار مبتهجين حتى ابتلعت الغابة اي اثر او صدى لمرورهم .

ومن الممكن ان يتخيل المرء ثورة وغضب ويأس «مالكين» اكثر من وصفها عند عودته الى البيت ليجد دكانه فارغاً ودميته الثمينة مفقودة .

كان من السهل معرفة الطريقة التي خرجت بها ، لان النافذة ما زالت مفتوحة على مصراعيها ، لكن احداً لم يكن قد رأى «اندرز» متسلقاً الى الداخل او بصحبة الدمية الى الخارج . ولقد تمنى اكثر من جار لو انه انتبه ذلك الصباح ، او لو ان «مالكين» كان يثق بأهل قريته وطلب من احدهم ان يحرس له المكان اثناء غيابه .

وعندها عم الاضطراب والفوضى قرية «بيلس» ، بعد ان غمرتهم الكبرياء في عمل صانع دماهم غير المعروف . ولقد كان على اي حال معلم مهنة الدمى في القرية ، وكانت القرية ستكسب الفخر والكبرياء لو انه فاز بالجائزة

ثم جاء اهل القرية جميعاً لتقديم مواساتهم «لمالكين نصف المجنون ، ولكنه كان يردهم بجفاء ووقاحة ، وكانت

لهجته معهم عدائيـة حتى انهم ذهبوا سريعـاً وتركـوه وحيداً .

ثم جلس بعد الظلام بقليل مرهقاً يائساً ، رأسه بين يديه تعيساً الى الحد الذي لا يستطيع ان يـأكل او ان يصنع لنفسه كوباً من الشاي .

وفجأة ، تناهى الى سمعه صوت خرخشة واهن تبعه صوت نشيج قرب الباب ، غـير مصدق اذنيـه وعندهـا ركض «مالكين» ليفتح الباب .

وهنا ترنحت الدمية «مارتا» فوق العتبة مبللـة حتى العظم وكان شعرها الاسود متهدلاً وملطخاً ، ومعطفها وشرائطها وملابسها الجديدة ملتصقة بها مبللة بـالثلج الذي تعثرت به .

[اوه .. معلمي .. معلمي ..] ثم شهقت مرتمية على الارض قرب قدميه .

وحين عرف «مالكين» انها تكاد تفرغ ، انتزع مفتاحه الصغير من السلسلة الفضية

فـانتعشت «مارتـا» المتعبة عنـدمـا دار المفتـاح في صدرها ، وقفزت الى مكانها المعهود وبسطت مـلابسها المطرزة امام النار وبدأت تروي قصتها :

[.. وهكذا عندما تركني اندرز مع الجن والعفـاريت فقد جرجروني معهم بالقوة وأرادوا ان اعيش معهم تحت الارض ، ولقد اعجبوا بي واغرقوني بالهدايا الجميلة !]

وهنا سألها «مالكين» بغضب وحدة :

[ولماذا لم تحضري الهدايا معك !]

[فردت عليه وهي تـذرف الدمـوع مشفقة عـلى نفسها :

[لقد واجهت مافيه الكفايـة كي اعود في هـذا الثلج والطريق الوعر ، انني لا اعرف كيف وصلت الى البيت !]

[وكيف هربت ؟]

فردت «مارتا» ونظرة حقد في عينيها :

[بطريقة غريبة ياسيدي ، لقد جاء في الكلام انك انت الذي صنعتني ، وكان لهذا اثر صاعق على هؤلاء الجن وفوراً قرروا رفضي ملكـة لهم ، وبدا انهم غضبـوا من «انـدرز» لانه اقتـرح ذلك ، وقـالـوا في البـدايـة انهم سيعطـوني للغربـان الجبلية ، ولكن عنـدما قلت انني سأعود من حيث اتيت لم يعترض احد او يحاول منعي ، ولقد كانت الرحلة صعبة ، ومن العجيب انني وصلت الى هنا وانا لا اعرف كيف استطاع «اندرز» ان يعاملني بهذه

القسوة ، وفوق كل هذا لم احصل على قلادتي !]
وحينئذٍ فكر «مالكين» طويلاً ثم قال :
[لقد حرضه اخوه «رودي» على ذلك ، بعد ان رأى ان عمـلي افضل من عملـه ، وتمنى ان يفسد عـلي فرحتي بـالفوز .. اهـا .. ايها السيـد «رودي» انت وصغـيرك «اندرز» انت لست ذكياً كما ظننت نفسك وسأنتقم منك ، وستـرى . والان ياعـزيزتي ، يجب ان انظفـك واكوي ملابسك . واعتقد ان من الحكمة ان ترتدي ملابس قطنية قديمة الى يوم المباراة حيث سأحزم الملابس الجديدة في حقيبة السفر]

رقم الإيداع في دار الكتب والوثائق ببغداد (٦٨٧) لسنة ١٩٨٩

دار ثقافة الأطفال

قسم النشر

سلسلة المشاهير

دار الحرية للطباعة - بغداد